الحمد لله الذي علم الإنسان ما لم يعلم، والذي يفتح للناس أبواب العلم والحكمة والفهم، ويصرف عنهم أبواب الشبهات التي هي شراك الشيطان وشباكه.

والصلاة والسلام على خير خلقه الذي بعث للناس معلمًا، فكان العلم في القرآن الذي نزل عليه، والسلوك والعمل الذي عمل به، والسمت والهيئة التي كان عليها صلى الله عليه وسلم، فكان العلم والإيمان قرينين، وكانت الخشية هي الثمر المستطاب للعلم النافع الصحيح، قال تعالى: " إنَّما يخشى الله من عباده العلماء " [فاطر/٢٨].

ورضي الله عن الصحابة الكرام الذين ورثوا العلم من النبي صلى الله عليه وسلم، فكانوا للناس أمنًا وأمانًا، كما قال صلى الله عليه وسلم: " وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى على أمتي ما يوعدون "

وفي حديث البخاري ومسلم يقول صلى الله عليه وسلم: " من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم، والله يعطي، ولا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك ".

" والفقه ": الفهم في العلم، " والله يعطي " يعني فهمًا في العلم الذي قسمه النبي صلى الله عليه وسلم، " وظاهرين على الحق " يعني عارفين للعلم عاملين به، مستقيمين عليه، فلا بقاء للأمة إلا بالعلم، فإذا ضاع العلم ضاعت الأمة، كما روى البخاري ومسلم من حديث ابن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إنَّ الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا "

ولقد صنَّف العلامة الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد كتاب " حلية طالب العلم " جمع فيه الوصايا الطيبة والمنهج الرصين لطالب العلم ليسير عليه، وكتب كثير من شيوخ العلم الكتب الضافية في ذلك،

وقال صلى الله عليه وسلم ـ مبينًا صفة الفرقة الناجية ـ: ما أنا عليه وأصحابي ".

شرح حلية طالب العلم للشيخ ابن عثيمين (ص: ٢)

طالب العلم إذا لم يتحل بالأخلاق الفاضلة فإن طلبه للعلم لا فائدة فيه، لابد أن الإنسان كلما علم شيئا من الفضائل أو من العبادات أن يقوم به فإن لم يفعل فهو والجاهل سواء بل الجاهل أحسن حالا منه؛ لأن هذا ترك الفضل عن عمد بخلاف الجاهل، ولأن الجاهل ربما ينتفع إذا علم بخلاف من علم ولم ينتفع، فلهذا أحثُّ نفسي وإياكم على التحلي بالأخلاق الفاضلة والصبر والمصابرة والعفو والإحسان بقدر المستطاع. هذا بقطع النظر عن الوصية الكبرى وهي الوصية بتقوى الله عز وجل التي قال الله تعالى فيها (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله) .

أما مؤلفُ هذه الحلية فهو الشيخ: بكر أبو زيد وهو من أكابر العلماء المعروفين بالحزم والضبط والنزاهة لأنه تولى مناصب كثيرة وكلٌّ عملهِ فيها يدل على أنه رحمه الله كان أهلٌ لما تولاه ، ثم إن كلامه في غالب كتبه كلام يدل على تضلعه في اللغة العربية ولهذا يأتي أحيانا بألفاظ تحتاج إلى مراجعة قواميس اللغة، والذي يظهر أنه لا يتكلف ذلك، لأن الكلام سلس ومستقيم، وهذا يدل على أن الله تعالى أعطاه غريزةً في اللغة العربية لم ينلها كثير من العلماء في وقتنا حتى إنك تكاد تقول إن هذه الفصول كمقامات الحريري ومقامات الحريري معروفة لأكثركم مقامات جيدة وفيها مواعظ وفيها كثير من الكلمات اللغوية التي يستفيد الإنسان منها.

حلية طالب العلم

المقدمة

الحمد لله، وبعد:

فأقيد معالم هذه الحلية المباركة عام ١٤٠٨ هـ، والمسلمون - ولله الحمد - يعايشون يقظة علمية تتهلل لها سبحات الوجوه، ولا تزال تنشط متقدمة إلى الترقي والنضوج في أفئدة شباب الأمة، مدها ودمها المجدد لحياتها، إذ نرى الكتائب الشبابية تترى يتقلبون في أعطاف العلم مثقلين بحمله يعلون منه وينهلون، فلديهم من الطموح، والجامعية، والاطلاع المدهش والغوص على مكنونات المسائل، ما يفرح به المسلمون نصراً، فسبحان من يحيي ويميت قلوباً.

لكن، لا بد لهذه النواة المباركة من السقي والتعهد في مساراتها كافة، نشراً للضمانات التي تكف عنها العثار والتعصب في مثاني الطلب والعمل من تموجات فكرية، وعقدية، وسلوكية، وطائفية، وحزبية

هذا صحيح في فترة الصحوة الاسلامية وربما كان في بلده اما في بلادنا فإن عمر الدعوة الذي لم يثمر إلا أعدادًا ضئيلة تنحصر على أصابع اليدين من طلبة العلم المجتهدين،فقد غابت " المنهجية " ... و" كثرت الدعاوى " و" انتشرت الآراء الباطلة " وتلك علامة الساعة؛ فشرطها أنْ يزداد الجهل، ويقل العلم. منطلقات طالب العلم (ص: ٥٢)

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنَّ من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويثبت الجهل، ويشرب الخمر، ويظهر الزنا "

ولقد كثر سواد علماء السوء، ووسد الأمر إلى غير أهله، فهان العلم، وازدادت الفتن، وتوالت المحن. قال صلى الله عليه وسلم: " سَيَاتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتٌ، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيَخُونُ فِيهَا الأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ.

قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟!! قَالَ: الرَّجُلُ التَّافِهُ يَتكلَّم فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ.

قال الثوري: كان يقال العالم الفاجر فتنة لكل مفتون.

وقد جعلتُ طوع أيديهم رسالة في التعالم تكشف المندسين بينهم خشية أن يُرْدُوهُم ويضيعوا عليهم أمرهم ويبعثروا مسيرتهم في الطلبُ فيَستلوهم وهم لا يشعرون واليوم أخوك يشُّد عضدك ويأخذ بيدك - فإن الآن هذا الكتاب بعد كتاب التعلم- واليوم أخوك يشُّد عضدك ويأخذ بيدك فأجعل طوع بنانك رسالةً تحمل الصفة الكاشفة لحليتك فها أنا ذا أجعل سن القلم على القرطاس فأتلو ما أرقُمُ لك أنعم الله بكَ عينا

لقد تواردت موجبات الشرع على أن التحلي بمحاسن الأدب، ومكارم الأخلاق، والهدى الحسن، والسمت الصالح: سمة أهل الإسلام،

الشيخ بكر يقول (اليوم أخوك يشد عضدك ويأخذ بيدك)أن يترك مصاحبه من كثر لعبه وقلت فكرته، فإن الطباع سراقة وآفة العشرة ضياع العمر بغير فائدة، والذي ينبغي لطالب العلم أن لا يخالط إلا من يفيده أو يستفيد منه.

وإذا احتاج إلى من يصحبه فليكن صاحباً صالحاً، ديناً، تقياً، ورعاً، ذكياً، كثير الخير، قليل الشر، حسن المداراة، قليل المماراة، إن نسي ذكره، وإن ذكر أعانه، وإن احتاج واساه، وإن ضجر صبره

وأن العلم - وهو أثمن درة في تاج الشرع المطهر - لا يصل إليه إلا المتحلي بآدابه، المتخلي عن آفاته، ولهذا عناها العلماء بالبحث والتنبيه، وأفردوها بالتأليف، إما على وجه العموم لكافة العلوم، أو على وجه الخصوص، كآداب حملة القرآن الكريم، وآداب المحدث، وآداب

المفتي، وآداب القاضي، وآداب المحتسب، وهكذا .. والشأن هنا في الآداب العامة لمن يسلك طريق التعلم الشرعي.

وقد كان العلماء السابقون يلقنون الطلاب في حلق العلم آداب الطلب، وأدركت خبر آخر العقد في ذلك في بعض حلقات العلم في المسجد النبوي الشريف، إذ كان بعض المدرسين فيه، يدرس طلابه كتاب الزرنوجي (م سنة ٥٩٣ هـ) رحمه الله تعالى، المسمى: " تعليم المتعلم طريق التعلم".

منطلقات طالب العلم

لا بد من تزكية القلب وتطهيره في البداية؛ لتحصيل العلم النافع والعمل الصالح، أو مواكبة التزكية مع الطلب فهما من المهمات الخطيرة في عصرنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقًّا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم " وقال جل وعلا: " لقد مَّن الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين " ... [آل عمران/ ١٦٤]. فالتخلية أو التطهير لازم أولاً؛ لأننا نعيش في عصر كثر فيه الخبث، وما من أحد يعيش في المجتمع إلا أصابه من هذا الخبث بقدر اختلاطه ومعاشرته لأهله إذا أردنا أن نشرب ماءً صالحاً فلا بد من تطهير الإناء وجلي الوعاء، ووعاء العلم وإناؤه القلب. . ... قال تعالى: " بل هو آيات بينات في صدور الذين أُتوا العلم " [العنكبوت/٤٩] ... وقال تعالى: " أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبدٌ مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال " ... [الرعد / ١٧]

قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ " فهذا هو المثل المائي، شبه الوحي الذي أنزله لحياة القلوب بالماء الذي أنزله من السماء، وشبه القلوب الحاملة له بالأودية الحاملة للسيل، فقلب كبير يسع علمًا عظيمًا، كواد كبير يسع ماء كثيرًا، وقلب صغير كواد صغير يسع علمًا قليلاً، فحملت القلوب من هذا العلم بقدرها، كما سالت الأودية بقدرها، ولما كانت الأودية ومجاري السيول فيها الغثاء ونحوه مما يمر عليه السيل، فيحتمله السيل، فيطفو على وجه الماء زبدًا عاليًا يمر عليه متراكبًا، ولكن تحته الماء الفرات الذي به حياة الأرض، فيقذف الوادي ذلك الغثاء إلى جنبتيه، حتى لا يبقى منه شيء، ويبقى الماء الذي تحت الغثاء، يسقي الله تعالى به الأرض فيحيى به البلاد والعباد والشجر والدواب، والغثاء يذهب جفاء، يجفى ويطرح على شفير الوادي.

وفي الصحيح من حديث أبى موسى عن النبي قال: " مثل ما بعثني الله تعالى به من الهدى والعلم، كمثل غيث أصاب أرضًا فكان منها طائفة طيبة قبلت الماء فانبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها طائفة أجادب أمسكت الماء فسقى الناس وزرعوا وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه دين الله تعالى ونفعه ما بعثنى الله به، فعَلِم وعَّلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به " أهـ

فانظر ـ رحمك الله ـ إلى هذا الحديث فهو يصف لك الحال الذي نود شرحه، فقد شبه لك فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم العلم بالغيث، والقلب بالأرض " كمثل غيث أصاب أرضاً "، فكما ينزل الغيث على الأرض ينزل العلم على القلب، فلو أنَّ غيثاً أصاب أرضاً بها حنظل، إذاً لزاد الغيثُ الحنظلَ مرارةً، ولو أنَّ غيثاً أصاب أرضاً بها شوك إذاً لزاد الغيثُ الشوك توهجاً، ولو أنَّ العلم نزل على قلب به كِبر لزاد به القلب تكبراً، وكذلك لو كان في القلب عُجب أو غرور أو حب رياسة وظهور، فإنه يزيد بالعلم ما فيه، وتصديق هذا من كتاب الله عز وجل قوله تبارك اسمه: " وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون، وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون " [التوبة /١٢٤ ـ ١٢٥]

فالآية الواحدة تكون للمؤمن شفاء وللظالم خسارًا، تزيد المؤمن إيماناً، وتزيد المنافق مرضًا في قلبه، وهذه من آيات الله، فإن نزل العلم على قلب فيه تواضع زاده تواضعاً، وإن دخل العلم على قلب فيه كبر زاده كبراً وغروراً.

وقال تعالى: " وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَارًا " [الإسراء/٨٢]
ثمَّ قال جل وعلا: " قل كل يعمل على شاكلته " [الإسراء/٨٤]
فلا بد من تطهير القلب وإعداده، وإلا فستكون فتنة، وكم رأينا على الساحة وبين طلبة العلم من كان في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً، نسأل الله العافية، وتمام العافية، ودوام العافية لجميع المسلمين والمسلمات.
ولذلك كان السلف - رضوان الله عليهم - لا يُعَلِّمون أحداً العلم حتى يروِّضُوا نفسه سنين كثيرة، ويظهر لهم صلاحُ نيته.
قال الإمام النووي في " مقدمة المجموع ": وقد كان عبد الرحمن بن القاسم المصري الفقيه المالكي المتوفى بمصر سنة ١٩١ هـ يقول: " خدمت الإمام مالك عشرين سنة، كان منها ثمان عشرة سنة في تعليم الأدب، وأخذت منه العلم في سنتين "
وقد كان الإمام مالك يقول: " ليس العلم بكثرة الرواية، وإنما العلم ما نفع، وعمل به صاحبه ".
وكان الإمام الشافعي يقول: " قال لي الإمام مالك يا محمد اجعل عملك دقيقاً، وعلمك ملحاً ".
فانظر - رحمك الله - ماذا يصلح الدقيق من الملح، إنها قطرات من الملح على أكوام من الدقيق فاعمل

<u>فعسى أن يصل أهل العلم هذا الحبل الوثيق الهادي لأقوم طريق، فيدرج تدريس هذه المادة في فواتح دروس المساجد، وفي مواد الدراسة النظامية، وأرجو أن يكون هذا التقييد فاتحة خير في التنبيه على إحياء هذه المادة التي تهذب الطالب، وتسلك به الجادة في آداب الطلب وحمل العلم، وأدبه مع نفسه، ومع مدرسه، ودرسه، وزميله، وكتابه، وثمرة علمه، وهكذا في مراحل حياته.</u>

<u>فإليك حلية تحوي مجموعة آداب، نواقضها مجموعة آفات، فإذا فات أدب منها، اقترف المفرط آفة من آفاته، فمقل ومستكثر، وكما أن هذه الآداب درجات صاعدة إلى السنة فالوجوب، فنواقضها دركات هابطة إلى الكراهة فالتحريم.</u>

شرح حلية طالب العلم للشيخ ابن عثيمين (ص: ٥)

.ذكر الآداب وضدها إن كانت مسنونة يكون ضدها مكروه وإن كانت واجبة فضدها محرم، ولكن هذا ليس على الإطلاق يعني ليس من ترك كل مسنون فهو مكروه، وإلا لقلنا أن كل من ترك سنة في الصلاة يكون قد فعل مكروهًا، لكن إذا ترك أدبًا من الآداب الواجبة فإنه يكون فاعلا محرمًا في نفس ذلك الأدب فقط لأنه يكون قد ترك فيه واجبًا، وكذلك إذا كان مسنونًا وتركه فينظر إذا تضمن تركه إساءة أدب مع المعلم أو مع زملائه فهذا يكون مكروها لا لأنه تركه ولكن لزم منه إساءةُ الأدب، والحاصل أنه لا يستقيم أن نقول كل من ترك مسنونا فقد وقع في مكروه أو كل من ترك واجبا فقد وقع في محرم يعني على سبيل الإطلاق بل يقيد هذا ومنها ما يشمل عموم الخلق من كلِّ مكلَّف، ومنها ما يختصُّ به طالب العلم، ومنها ما يدركُ بضرورة الشرع، ومنها ما يعرف بالطبع ويدل عليه عموم الشرع من الحمل على محاسن الآداب ومكارم الأخلاق وسياقها ليس على سبيل الاستيفاء لكنَّ سياقتها تجري على ضرب سبيل المثال قاصدًا الدلالة على المهمات فإذا وافَقَت نفسًا صالحةً لها تناولت هذا القليل فكثرته وهذا المجمل ففصلته ومن اخذ بها انتفع ونفع وهي بدورها مأخوذة من أدب من بارك الله في علمهم وصاروا أئمةً يهتدى بهم جمعنا الله بهم في جنته آمين.